

## رياح القومية تهب من جديد على أمهرة الإثيوبية

تحول أسامينو تسيغي رمز التيار القومي في أمهرة إلى أيقونة لحركة متنامية في الإقليم الإثيوبي، وسط حملة تعبئة واسعة للدفاع عن مناطق الأمهرة ضد جبهة تحرير إقليم تيغراي المجاور والتي تخوض قتالا منذ أشهر مع الحكومة المركزية في أديس أبابا، وتسببت في إدخال البلد الواقع في منطقة القرن الأفريقي في دوامة الصراعات العرقية والمناطقية والقومية.

بحر دار (إثيوبيا) - يشكّل أسامينو تسيغي أيقونة قومية لحركة حديثة بدت شعبيتها تتنامى في إقليم أمهرة الإثيوبي الذي يشهد تعبئة واسعة النطاق من أجل القتال لاستعادة منطقة متنازع عليها مع جبهة تحرير تيغراي الانفصالية. ويعد تسيغي رمزاً للتيار القومي في أمهرة، وهي حركة حديثة لكنها تحظى بشعبية متنامية على خلفية الصراعات الإثنية والحرب المتواصلة في تيغراي. وفي أمهرة المحاذية لإقليم تيغراي يحفظ الجميع عن ظهر قلب وجه تسيغي قائد أمن المنطقة الذي سلحها قبل أن يقتل على يد ضابط من الشرطة عام 2019 بعد اتهمته بمحاولة انقلاب على السلطات المحلية.

ويقول الشاب الإثيوبي من أمهرة ويدعى تسفاهون سياسي إنه يحب الرجل لقيامه بعمل جيد من أجل منطقتهم، حيث ارتدى قميصاً فيه صورته وهو يحمل سلاح الكلاشنكوف. ويرمز الكلاشنكوف، السلاح الذي يملكه العديد من الرجال على أكتافهم في المناطق الريفية، إلى إرادة الأمهرة، ثاني أكبر مجموعة عرقية في البلاد، وتمسكهم بالدفاع عن أنفسهم. وفي السنوات الأخيرة استهدفت مذابح عدة هذه الإثنية وأخرها في أبريل في بلدة اتاي التي تسكنها غالبية من الأمهرة وتحيط بها قرى سكانها من الأورومو، المجموعة العرقية الأكبر في البلاد. وأسفرت أعمال العنف حينها عن مقتل المئات منهم. وغالباً ما تقع توترات ذات طابع إثني بين المجموعتين. واشتعلت أعمال العنف تلك موجة تظاهرات في بحر دار وفي مدن أخرى.

### أمهرة هي واحدة من المناطق الأكثر نفوذاً في إثيوبيا ويسكنها نحو ثلاثين مليون نسمة ينتمون إلى الأمهرة

وحضّ تيشاغر في 25 من يوليو الجاري سكان منطقة أمهرة ممن لديهم أسلحة على مواجهة المتمردون في تيغراي. وقال إن قوات تيغراي أعلنت "حرباً سافرة" ضد شعب أمهرة و"تبدا معركة من أجل الحفاظ وجودنا". ويقول الباحث الفرنسي مهدي ليزاي المقيم في إثيوبيا، إنه لم يكن أمام حزب الازدهار خيار آخر سوى تبني شعارات حركة "تامام" للضامن له مكانة على الساحة السياسية المحلية. وبعد انتخابات 21 يونيو الماضي لم تحظ حركة أمهرة الوطنية التي طعنت بنزاهة الاقتراع إلا بعد قليل من المقاعد مقارنة مع حزب الازدهار في البرلمان الفيدرالي. كما مُنيت بهزيمة في البرلمان الإقليمي.

ويخلص ليزاي إلى أنه في المستقبل "سيكون من المثير للاهتمام أن نرى إلى أي مدى ستتقرب نخب حركة أمهرة الوطنية من نخب حزب الازدهار، باعتبار أنهم يقولون الشيء نفسه". ومنذ نوفمبر تخوض القوات الحكومية وقوات حزب الجبهة الشعبية الذي يحكم المنطقة الواقعة بأقصى شمال البلاد معارك ضارية، حيث أعلنت حكومة أبي أحمد بعد ثلاثة أسابيع النصر عقب سيطرتها على ميكيلي عاصمة إقليم تيغراي، لكن الجبهة واصلت القتال وتمكنت من استعادة السيطرة على ميكيلي ومعظم مناطق الإقليم في نهاية يونيو الماضي.

ويقل مقاتلو تيغراي هجومهم إلى إقليم عفر المجاور ذي الأهمية الإستراتيجية إذ يمر عبره الطريق الرئيسي وخط السكك الحديدية اللذان يربطان العاصمة أديس أبابا بميناء جيبوتي البحري.



صراع متعدد العرقيات

## القومية العربية الراديكالية والإسلام السياسي.. صراع دائم

مشروعان متناقضان يتسبان في توترات كبيرة في العالم العربي منذ الستينات



تصدعات قديمة

والعسكرية القائمة بين المجتمعات العربية والغرب لتسعين الظروف الاجتماعية "الشغل، الإسكان، التعليم، الصحة، وغيرها"، التي تعيشها الفئات الأكثر فقراً في المجتمع. ولكن إضافة إلى عدم تحقق هذا الحلم، أصبحت القومية العربية الراديكالية عائقاً في طريق السلم المدني والتعاسك الوطني، كما يبدو ذلك جلياً في الوضع المساوي في سوريا؛ حيث تمثل الأوضاع الاجتماعية والسياسية، في مصر والجزائر وسوريا، هذه الأنظمة التي ألهمت أملاً عريضة من قبل.

ويؤكد أن القومية العربية الراديكالية فشلت لسببين: السبب الأول هو أن الجيش عسكر الأهداف السياسية للقومية، فعندما تولّى الضباط الحكم حالوا دون نشأة المجتمع المدني المعبر عن الحدائق السياسية والشرط الضروري لتحقيق سيادة القانون. وهذا التعطش العسكري للسلطة رجع بالبلدان العربية إلى ثقافة سياسية إقطاعية، تلك التي سادت عند المماليك أو الإنكشاريين في التقاليد العثمانية؛ فأساس الدولة العصرية يتمثل في الاقتصاد والقانون وليس في الجيش.

أما السبب الثاني حسب هواري فهو فشل القومية العربية؛ حيث لم تترك هذه الأخيرة الخصوصية الفكرية لتقدم أوروبا، التي تحولت، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، عن ميثاقين قرون الوسطى، التي مازالت سائدة في الثقافة العربية وقاداتها؛ فنذ العشرينات حتى الأربعينات لم يُعزّز القادة والمفكرون العرب، مثل: ساطع الحصري وميشيل عفلق وشكيب أرسلان ومصالي الحاج، التقدم الفكري، الذي حققه الغرب في ما يتعلق بالحرية الفردية، الاهتمام الكبير، بل استحوذ على اهتمامهم المستقبل السياسي للمجموعة التي ستحترق من الهيمنة الأجنبية.

ويقول إن "الدولة العربية بُنيت على تجاهل الحقوق المدنية والحرية الفردية؛ إذ لا يتقبل الجيش فكرة أن قوة الدولة، أولاً وقبل كل شيء، قوة فكرية، وهو الذي يعتقد أن مستقبل الأمم تحقّقه الأسلحة. والحق أنه لم يُنظر إلى الغرب بوصفه تجربة خاصة في دورة التاريخ البشري؛ بل فضاء ظهرت فيه العلوم بمحض المصادفة، لتعطي الأوروبيين أفضل على غيرهم. إن البلورة الإختزالية لفرق جذري بين نحن وهم تبين أن القومية العربية الراديكالية تعمل خارج الوعي التاريخي مثل الإسلاموية تماماً، فهما تقاسمان التصور الثقافي نفسه".

ويضيف أن "فشل القومية العربية الراديكالية هو الذي أمد الإسلاموية بالشعبية والسراج، فإذا عسكرت القومية الراديكالية السياسة، فإن الإسلاميين سبوا الدين لنزع الشرعية عن خصومهم. إذ يفعلون ذلك، فهم يرتكبون الخطأ نفسه، وهو تجاهل الأسس السياسية والثقافية للحضارة الغربية، التي أصبحت في اعتقادهم أحادية البعد: الهيمنة الإمبريالية. ولكن إرادة السلطة والهيمنة ليست حكرًا على الغرب؛ بل هي خاصة من خصائص الطبيعة البشرية".

حيث الأيديولوجيا، أقرب إلى الغرب من الأنظمة الملكية المحافظة، التي كانت أقرب إلى النمط الملكي المطلق الذي ساد في أوروبا قبيل الثورات".

ويؤكد أنه "من وجهة النظر السابقة، فإن النخب الجمهورية معظمها من العسكر، الورث البعيد للوجه الليبرالي الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر، وأصبحت راديكالية جزاء استعارة لغتها الأيديولوجية من الحركة المثالية الألمانية، وخطابها الاشتراكي العربي وماهجه من الأيديولوجيات الليبرالية الأوروبية". ويرى هواري أن هذا المنشأ التاريخي له أهمية بالغة إذا أردنا فهم التطورات اللاحقة في العالم العربي، الذي تجاوب باشكال مختلفة مع القوى الأوروبية الكاسحة في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ فبينما اكتفت الأنظمة الملكية بضمّان وجود دول عربية مستقلة ظاهرياً، راح القوميون يعبرون عن رغبتهم في إصلاح المجتمع والحقا بركب الغرب، حتى أنهم تبنا قوماً ليبرالية قبل أن يعزفوا عنها لاحقاً في تحديهم لأوروبا.

ويقول إن "للقومية العربية تاريخها الخاص؛ إذ تعود منابجها الأولى إلى ردة الفعل تجاه حملة بونابرت على مصر سنة 1798، التي شكّلت صدمة للعديد من أفراد النخبة، الذين اضطروا إلى الاعتراف بمدى تقدم أوروبا في المجالات العسكرية والاقتصادية والعلمية. فبدأت الأفكار الليبرالية تتسلل إلى العالم العربي بشكل تدريجي، وأحياناً متناقض، إلى أن تضافرت في النصف الثاني من القرن الماضي مع رفض عام للإمبراطورية العثمانية، وتحولت بعد ذلك إلى مناهضة علنية للقوى الأوروبية بعد معاهدة سايكس - بيكو سنة 1916". ويرى أن "مقاومة الهيمنة الاستعمارية أدت إلى تأسيس جمهوريات مناهضة للغرب سياسياً، ومن عجيب المفارقات أن هذه الجمهوريات كانت، من الغربي بعد وفاة جمال عبدالناصر.

ويقول إن "رفض أنور السادات، خليفة جمال عبدالناصر، خطاب العروبة وفتح الاقتصاد المصري أمام رؤوس الأموال الخاصة المتدفقة من المملكة العربية السعودية ودول الخليج ومن الغرب كان بمنزلة إعلان فشل القومية العربية الراديكالية. ومنذ بداية السبعينات فصاعداً عارض التيار الإسلامي، هذا الوضع. وإذا كانت شعبية التيار الإسلامي قد تعززت في كل من مصر والجزائر منذ وفاة جمال عبدالناصر وهواري بومدين، فإن ذلك راجع إلى أنهم قد اتهموا خلفاءهما بإغناء أقلية من خلال توقيع اتفاقيات مع صندوق النقد الدولي، وأضافوا إدانة مصر بسبب توقيعها معاهدة السلام مع إسرائيل، التي كلفت الرئيس أنور السادات حياته".

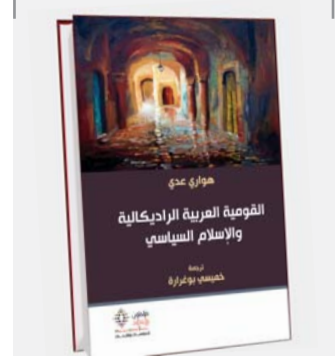
ويشدد هواري على أن نشأة القومية العربية الراديكالية ردة فعل على الهيمنة الأوروبية، وتمكنت من استمالة شرائح عديدة من المجتمع إلى هدفها المتمثل في بناء أمم مستقلة عصرية تتمتع بالاحترام الدولي، وقطعت وعوداً جازمة بأنها ستسهي الهوة الاقتصادية والعلمية

وإغالتة السلالات الجديدة التي حكمت العراق والأردن؛ فقد تأسست هذه الملكات، بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية، خلال عشرينيات وثلاثينات القرن الماضي، وشكّلت لمساندة الأوروبيين في صراعهم ضد الإمبراطورية العثمانية. ولأسباب تتعلق بطبيعتها المحافظة، وتحالفها مع القوى الاستعمارية، التي وفرت لها الحماية، كانت هذه الملكات بمنزلة خيبة أمل في نظر القوميون، الذين اقترضوا مبادئهم من الماركسية الثورية. وكان كل من جمال عبدالناصر، وهواري بومدين، وحافظ الأسد، أقرب إلى النموذج البروسي أو السوفييتي منهم إلى نموذج الخلافة".

ويشير إلى تبني العالم العربي نظامين في تأسيس الدولة نتيجة احتكاكه بالغرب: أحدهما استند إلى التقاليد ممثلة في النظام الملكي، الذي تناغمت مصالحه السياسية مع مصالح القوى الغربية؛ أما النظام الثاني، فكان مضمراً على طبيعته الجمهورية، وعلناً برغبته في وضع حد للهيمنة الأجنبية في المنطقة.

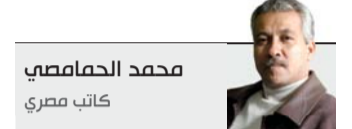
ويشير أن "مقاومة الهيمنة الاستعمارية أدت إلى تأسيس جمهوريات مناهضة للغرب سياسياً، ومن عجيب المفارقات أن هذه الجمهوريات كانت، من الغربي بعد وفاة جمال عبدالناصر.

ويقول إن "رفض أنور السادات، خليفة جمال عبدالناصر، خطاب العروبة وفتح الاقتصاد المصري أمام رؤوس الأموال الخاصة المتدفقة من المملكة العربية السعودية ودول الخليج ومن الغرب كان بمنزلة إعلان فشل القومية العربية الراديكالية. ومنذ بداية السبعينات فصاعداً عارض التيار الإسلامي، هذا الوضع. وإذا كانت شعبية التيار الإسلامي قد تعززت في كل من مصر والجزائر منذ وفاة جمال عبدالناصر وهواري بومدين، فإن ذلك راجع إلى أنهم قد اتهموا خلفاءهما بإغناء أقلية من خلال توقيع اتفاقيات مع صندوق النقد الدولي، وأضافوا إدانة مصر بسبب توقيعها معاهدة السلام مع إسرائيل، التي كلفت الرئيس أنور السادات حياته".



ويؤكد أنه "لم تكن النخب الحضرية السورية واللبنانية، في بداية الأمر، مناوئة للملكية نظاماً سياسياً في الدولة العربية، التي كانت تلك النخب تنصبو إلى بنائها؛ حيث ساندت الثورة العربية التي قادها الشريف حسين أملاً في أن تتمخض عن دولة واحدة موحدة تشمل أرض الهلال الخصيب". ويتابع "غير أن الأطماع الاستعمارية البريطانية والفرنسية بددت هذا الحلم،

هل ساهم فشل "القومية العربية الراديكالية في مد التيارات الإسلامية بالشعبية والسراج"، أسئلة كثيرة تبحث عن إجابات في ظل حالة الصراع الدائمة بين القوميون والإسلاميين في العالم العربي، والتي استمرت منذ عقود ومازالت تتفاقم يوماً بعد آخر.



محمد الحماصي كاتب مصري

يركز الباحث الجزائري الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية في جامعة ليون دهوراي عدي في كتابه "القومية العربية الراديكالية والإسلام السياسي" على أيديولوجيتين تتشاكلان، في الآن نفسه، توأما وخصمين: القومية العربية الراديكالية، والتيارات الإسلامية، وكلاهما بدأ بثورات شعبية بقصد تغيير الأوضاع القائمة.

ويبين مدى رسوخ هاتين الأيديولوجيتين في تاريخ وثقافة المجتمعات العربية المتطلعة إلى الحدائق بكل ما تحمله تلك المجتمعات من إحباط وتطلعات متناقضة.

ويلفت الباحث الجزائري وأستاذ علم الاجتماع إلى أن "العالم العربي مقلد بماض ديني عني؛ لذا لا بد له من مواجهة مسألة العلمنة الشائكة، التي كانت القومية قد فكرت في تطويقها من خلال تنمية اقتصادية توجهها دولة مختزلة إلى مجرد هيكل إداري. أما موقف التيار الإسلامي فتمثل في محاولة أسلمة العلمنة، مؤكداً أن فصل الدين عن الدولة بدعة، غير أنه لم يقدم أي خطة للحكم، شعبيته مرهبا الضعف والفتل والتدريجان للقومية الراديكالية منذ أواخر ستينات القرن الماضي.



هواري عدي

ويضيف أنه "منذ ذلك الحين بدأ التيار الإسلامي يتحدى القومية الراديكالية، وينافسها بشكل مباشر، مدعياً أنه ورثها وخصمها في الوقت نفسه. إن سقوط نظام حسني مبارك في مصر سنة 2011، وانهاير نظام معمر القذافي في ليبيا في السنة نفسها، والدمار الجاري في سوريا حالياً، كلها أحداث تشكّل تجليات لدى تاكل شرعية الأنظمة التي كانت تُعدّ بالحصينة الاقتصادية والتحرر الاجتماعي".

ويوضح أنه "فهم سبب تحول القومية الراديكالية من الانتصار إلى الفشل في غضون عشرات عقود، لا بد من دراسة بداياتها، وبشكل عام الرجوع إلى الأصول التاريخية للسود العربية التي تبنت النظام الملكي والجمهوري بحسب ظروفها التاريخية الخاصة. لقد أدى انهيار الإمبراطورية العثمانية إلى تشكيل نواة نزعة قومية، أدت بدورها إلى نشأة أنظمة ملكية محافظة تحت العناية السامية للقوى الأوروبية مقابل مساندة هذه الأخيرة للسياسات المناهضة للعثمانيين".

ويؤكد أنه "لم تكن النخب الحضرية السورية واللبنانية، في بداية الأمر، مناوئة للملكية نظاماً سياسياً في الدولة العربية، التي كانت تلك النخب تنصبو إلى بنائها؛ حيث ساندت الثورة العربية التي قادها الشريف حسين أملاً في أن تتمخض عن دولة واحدة موحدة تشمل أرض الهلال الخصيب". ويتابع "غير أن الأطماع الاستعمارية البريطانية والفرنسية بددت هذا الحلم،

### الكتاب يسعى لمناقشة أسباب تحول القومية الراديكالية من الانتصار إلى الفشل في غضون عشرات عقود

ويوضح أنه "فهم سبب تحول القومية الراديكالية من الانتصار إلى الفشل في غضون عشرات عقود، لا بد من دراسة بداياتها، وبشكل عام الرجوع إلى الأصول التاريخية للسود العربية التي تبنت النظام الملكي والجمهوري بحسب ظروفها التاريخية الخاصة. لقد أدى انهيار الإمبراطورية العثمانية إلى تشكيل نواة نزعة قومية، أدت بدورها إلى نشأة أنظمة ملكية محافظة تحت العناية السامية للقوى الأوروبية مقابل مساندة هذه الأخيرة للسياسات المناهضة للعثمانيين".